الإجراءات الاحترازية الآشورية في الظروف القاهرة

أ.م.د.أزهار هاشم شيت
قسم الحضارة
كلية الآثار / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: 2011/12/19 ؛ تاريخ قبول النشر: 2012/3/29

ملخص البحث:

تم في هذا البحث إلقاء الضوء على موقف السلطة الحاكمة في بلاد أشور أثناء حدوث الكوارث الطبيعية أو الدمار الناجم من الحروب وتأثيراتها على نمط الحياة اليومية للأفراد الذين كانوا يتعرضون للأذى عند عدم وجود مورد غذائي لهم أو يصبحون دون مأوى ويحتاجون الى تقديم المساعدة لهم فضلا عن ذلك معاناتهم من ويلات هذه الكوارث فيفتقرون الى الملجأ والملبس والعناية الطبية وتوفير احتياجات الحياة الضرورية ,والسبل الكفيلة لاتخاذ الإجراءات الاحترازية[1] التي كانت تتخذها السلطات في بلاد اشور تحسبا من وقوع مثل هذه الأخطار, فكانت السلطات الحاكمة تسعى جاهدة الى توفير مستلزمات العيش لرعاياها فضلا عما كانت تقدمه من مساعدات إنسانية أو إعادة بناء ما تهدم وتعميره أو ما كانت تقوم به من طقوس ومراسيم دينية كإقامة الصلوات والشعائر وتقديم القرابين لدفع الشر وإبعاد الأذى عن المملكة بأسرها وعن شخص الملك ورعاياه ، فضلا عما كانت تقوم من سن القوانين والتشريعات لحماية حقوق وأموال الأسر والأفراد المنكوبين الذين تضرروا من الحروب أو الكوارث كما ان تشييد المملكة وبناءها للمعابد كان أيضا بمثابة شبكة أمان اجتماعي للأرامل والأيتام الذين لا مأوى لهم.

Assyrian Precautionary Procedures Taken in Serious Circumstances

Assist. Prof. Dr. Azhar Hashim Sheet
Department of Civilization
College of Archaeology / Mosul University

Abstract:

This research attempts to shed light on the position of the ruling authority in Assyria during the natural disasters or catastrophes as a result of wars affecting the general trend of daily life.

People became homeless and need assistance because they suffer from the ravages of disaster and they became prived of shelter, clothing,

housing and medical care and all the needs of daily life. The present research deals also with the precautionary procedures that were taken by the authorities in Assyria, in anticipation of such happenings.

It must be mentioned that the ruling authorities are striving to provide the requirements for life for its citizens as well as the supply of humanitarian aid, rebuilding what was destroyed. These authorities did their best in order to carry out the rituals and religious edicts such as the prayers and rituals and offerings to prevent the evil and harm from the Kingdom as a whole and from the person of the King and his subjects. They also passed laws and legislations to protect the rights and property of distressed families and individuals who have been affected by war or disaster. Finally, they did their best in order to build the kingdom and the temples. This was considered as the social security for widows and orphans who were homeless.

تمهيد:

أشير في مضامين النصوص المسمارية الى ان بلاد اشور تعرضت الى كوارث طبيعية كانت لها نتائجها الوخيمة على المجتمع الآشوري من هولها لشدة تأثيرها فكانت قد تعرضت للزلازل والمجاعات والقحط والأوبئة لان المجاعة والقحط يؤديان عادة الى سوء التغذية بين الناس مما يهيىء الأجواء المناسبة لانتشار الإمراض, كما ان الفيضانات كانت تنتج عنها الأوبئة والأمراض كما ان الظروف الجوية الباردة مع القحط تعد البيئة المناسبة لنمو الأوبئة والأمراض المعدية وأبرزها الطاعون,ولم يكن أمام الآشوريين آنذاك سوى اللجوء الى الأدوية المتوفرة لديهم والمكونة من الأعشاب والنباتات الطبية أو العلاج بوسائل أخرى مثل العلاج بمياه الينابيع ولاسيما علاج الأمراض الجلدية([2]).

و مما لاشك فيه ان الملوك الآشوريين سعوا في الأوقات الاعتيادية الى تامين موارد العيش والامان لرعاياهم وهذا ما نستشفه من نص للملك الأشوري شرو – كين الثاني (721–705ق.م) جاء فيه:–

" لكل بلاد أشور الواسعة، الطعام المفضل لإشباع وإحياء الروح (القلب)المناسب لحكمي..جعلت الوفرة لاختيار الأشياء، للإنقاذ من الحاجة والجوع وحتى المتسول لم يعد مضطرا لسلب الخمر (الشرب)..،ليس هناك شحة (توقف أو انقطاع)في الحبوب التي يتمناها القلب الزيت الوفير الذي يستخدم لإراحة عضلات الرجال لم يعد مكلفا في بلادي ، السمسم بيع بسعر بقية الحبوب "[(3)].

أما اثناء حصول الحروب والكوارث الطبيعية والمجاعات فكانت مسؤوليات المملكة الآشورية تتضاعف وتتكاثف جهودها لإغاثة المنكوبين والمتضررين .

الكارثة [4]، وهي حالة مفجعة يتأثر من جرائها نمط الحياة اليومية فجأة ويصبح الناس دون مساعدة ويعانون من ويلاتها ويصبحون بحاجة الى حماية وملابس وملجأ وعناية طبية واجتماعية واحتياجات الحياة الضرورية [5].

وكانت هناك عدة إجراءات احترازية قد اتخذتها السلطة الآشورية أثناء وقوع الكوارث الطبيعية والمجاعات:

أولا- الإجراءات الاحترازية على النطاق الخاص بمكان وقوع الكارثة وقد اختلفت الإجراءات الاحترازية التي كانت السلطة الآشورية تتخذها حسب نوع الكارثة وهي كالأتي:

1-الزلـزال [6]:عرف الزلازل بالمفردة الاكدية(ribu) التي تضاهي الكلمة العربية رعب [7] .

وعندما كانت العرافة تنذر بوجود زلزال من خلال نصوص الفأل والتنجيم التي أرسلها الكهنة والعرافون الى الملك والتي كانت تنذر بوقوع الزلازل[8] فان هناك طقوسا ومراسيم كان على الملك الآشوري ان يؤديها بنفسه إذ يؤدي اعترافه أمام تمثال الاله انو وانليل وآيا مرددا صلوات خاصة يصاحبها عويل ونواح(ER-SEM-MA) من كاهن الكالو kalu[9] .

وفي حال حدوث الزلزال فعلا كان على الملك ان يقدم القرابين الى الآلهة العظام وان يقوم بأداء صلاة خاصة ضمن(طقوس الندم) يحلق بعدها شعر جسمه ويوضع في إناء خاص داخل بلاد الأعداء،ففي عهد أشور–أخ– ادن (اسرحدون) حصلت هزة أرضية فاستفسر من الكاهن بلاسي فيما إذا حدثت هزة في شهر معين وهل هذه إشارة نذر سيئة وهل سيكون هناك خطر كبير وأي الآلهة هي التي سببت هذه الهزة وكيفية تجنبها فأجاب الكاهن :–(ان الاله أيا هو الذي أحدث الهزة ويؤكد انه ليس ثمة خطر كبير ولكن على الملك ان يمد ذراعيه بالدعاء والصلاة وان يقوم بتعويذة التطهير) [10].

وكان من ضمن المسؤوليات الإدارية لحكام المقاطعات إبلاغ الملك عن أي زلزال يقع وذلك لإجراء اللازم وهناك رسالة بهذا الخصوص موجهة الى الملك شلمن اشرد (شلمنصر الأول 1280ق.م) يخبره الكاتب بحدوث زلزال وان الجزء الخارجي من مدينة نينوى انهار بأكمله مع سقوط جزء من سور المدينة الخارجي , وان معبد (عشتار(.) تهدم مع انهيار قسم من سجن المدينة وطلب ان يأتي كبير المعماريين ويفتش رسمياً[11] .

وهناك رسالة موجهة الى الملك أشور–بان–اپلي(أشور بانيبال668–626ق.م) يشير فيها الى" انه في الحادي والعشرين من شهر أيلول ضرب زلزال اشور وان البلدة الخارجية دمرت أو حطمت أما جدار المدينة الخارجي فقد تحطم جزء كبير منه مع انهيار معبد عشتار وأبراج المراقبة للبوابة الوسطى مع انهيار منزلين احدهما خارج حامية المدينة والأخر داخلها ، وينبغي على احد المسؤولين ان يأتي ويتفقدهم"[12] . وهذه الرسالة على الأرجح دعوة لاجراء اللازم وتقديم المساعدة من حيث إعادة بناء وتعمير ما تهدم.

2- الأوبئـة مفردها الوباء : والوباء هو الطاعون بالقصر والمد والهمز، وقيل هو كل مرض عام وجمع الممدود على أوبيه ، ويجمع المقصور على أوباء , وارض وبيئة إذا كثر مرضها وموبوءة وموبئة كثيرة الوباء [13].وهو انتشار سريع لمرض معد ويعد من أكثر الكوارث الطبيعية فتكا مثل الطاعون الأسود والجدري, ورد ذكره في اللغة السومرية بصيغة[NAN. US.MEŜ.UŜ.MEŜ] أما بالاكدية فقد ورد بصيغة mūtānu .[14]

والذي يؤدي الى حدوث نسبة عالية من الوفيات وخاصة عند الأطفال [15]،وهناك عدد من النصوص المسمارية تتحدث عن بكاء على أطفال ماتوا قبل الأوان بسبب هذا الوباء ومن ذلك هذا النص الذي جاء فيه انه "توفي جميع الأطفال الرضع في البلاد بسبب مجيء العفريتة لاماشتو ".[16]

وعادة ما كان المجذومون في العراق القديم يعزلون عن المجتمع فقد جاء في الكتابات المسمارية ان (المجذوم لن يعرف أبدا طريق العودة الى موطنه) [17]ولم يكن أمام الآشوريين عند انتشار الأوبئة سوى اللجوء الى الأدوية المتوفرة لديهم والمكونة من الأعشاب والنباتات الطبية, أو اللجوء الى إقامة الطقوس الدينية من الكهنة المعزمين وهذا ما يؤكده النص الأتي:

" بخصوص الطقوس التي كتب سيدي الملك إلينا اتخذناه في شهر تسليف (كانون1)
لأبعاد الملاريا والطاعون ،
في شهر طبيت (كانون2) لإبعاد الإمراض والملاريا
في شهر شباط ارينا رفعنا أيادينا
وهو طقس ضد الشر والسحر
وطقس ضد الملاريا والطاعون في اليوم الأول بدأنا الطقس في آذار" [18].

وان الإبلاغ المبكر عن أمراض معينة يؤدي بوضوح الى تدابير وقائية فورية للسيطرة عليها وكانت القوافل التجارية تستفيد من التحذير المبكر عن الوباء ولعل لذلك السبب أرسل يسمخ –ادد ابن شمشي ادد الأشوري يطمئن حمورابي ملك بابل قائلا :

"أخوك اشمي داكان بخير ومدينة ايكالاتوم بخير .أنا بخير ومدينة ماري بخير "[19].

وقد يضطر السكان في اغلب الأحيان الى النزوح عن المناطق الموبوءة للتخلص من انتقال الأمراض إليهم[20] .

3-الفيضـان: احد الظواهر الطبيعية التي تنشا بمعظمها من زيادة كمية تساقط الأمطار لمدة طويلة من الزمن في منطقة محددة أو ذوبان سريع لكميات كبيرة من الثلوج أو الأنهار أو العواصف والاعاصير فتطغى مياه تلك الأنهار والجداول على الأراضي المحاذية لمجاريها الطبيعية بسب زيادة التصريف المائي الناجم عن ذلك،[21] عنها ورد ذكر الفيضان بالاكدية بصيغة mīlu[22], وقد تنبه الآشوريون الى خطر الفيضانات وما تجره من ويلات وهدم للمنازل وجرف للأراضي الزراعية كما ان الفيضانات معروفة بحملها للأوبئة والأمراض ,لهذا فقد احتاط الآشوريون واخذوا حذرهم وحرصوا على

متابعة التقارير الواردة سواء من الكهنة والعرافين من احتمال وقوع الفيضانات[23]او من حكام المقاطعات ,فهذا(سين –اخي–اريبا) سنحاريب 704–681ق.م)عندما كان وليا للعهد بعث برسالة يخبر فيها والده الملك بارتفاع منسوب المياه في نهر دجلة واحتمال تعرض البلاد لخطر الفيضان :–

"الى سيدي الملك، خادمك سنحاريب عسى ان تكون بصحة جيدة, عسى المملكة الآشورية بخير، عسى ان يكون مولاي الملك بخير.

... تقدمت الفيضانات الى حد كبير في [مدينة نينوى] وفي دور شروكين ومدينة كوربيل"[24] .

4- الجفاف: هو التغير الذي يحدث في طقس المنطقة من حيث استمرار حالة الطقس الجاف وعدم هطول الأمطار لمدة طويلة وقد يؤدي ذلك الى مجاعة ولاسيما في البلاد التي تعتمد في زراعتها على الامطار [25].

ولمواجهة الظروف الطارئة كشح المياه وانقطاع الأمطار ولاستثمار مساحات شائعة من الأراضي الزراعية فقد شرع العديد من الملوك الآشوريين الإجراءات آلاتية:

أ- إقامة مشاريع ارواء ضخمة : مثل مشروع (أشور– ناصر– ابل) الثاني لتجهيز مدنية كلخ بمياه الزاب العذبة عرفت باسم(باتي خيكالي patti Hegali) التي تعني فاتحة الخير [26].ألتي تعرف حالياً بقناة النكوب بالقرب من منطقة الكوير وكان الغرض من إنشاء القناة هو تجهيز المدينة وضواحيها من حقول وبساتين بالمياه العذبة وأن يكون للمدينة أكثر من مصدر للمياه تحسباً للظروف الطارئة في حالة شحة احد المصادر أو انقطاعها،فضلاً عن ذلك أن مياه نهر الزاب تعد أكثر نقاوة من نهر دجلة لذلك فضل الملك اشور–ناصر ابلي الثاني جلب الماء منه وخاصة لأغراض الشرب وللاستخدام المنزلي [27]، ويبدو ان استخدام مياه القناة أفاد في استصلاح ما يزيد على (25) كيلو متر مربع من الأراضي الزراعية[28] .

كما ان قلة الأمطار وتذبذبها في كثير من الأحيان وتغير طعم مياه نهر دجلة واختلاطه بمياه عيون الكبريت الواقعة في الجهة المقابلة لمدنية نينوى دفع الملك (سين –اخي–اريبا) لتجهيز نينوى بالمياه العذبة عبر قناة كيسيري على بعد(16كم) شمالي نينوى[29] .

" أنا سنحاريب ملك أشور– أسقيت نينوى وارويت ما يجاورها بمياه القنوات التي أمرت بتشيدها وزرعت حدائق فيها كل أنواع الأشجار المثمرة التي كانت تنبت في الجبال والسهول وقد نقلتها الى أماكن لم تكن فيها فأصيبت مزراع اضر بها القحط وجلبت المياه لحقول الحبوب الممتدة وسط مدينتي تربيص ونينوى "[30] .

ب- حفر الآبار: نظرا لحاجة الإنسان الماسة الى المياه وتحسبا للظروف الطارئة ولاسيما أثناء أوقات الحصار أو أوقات الجفاف وشحة الامطار وفي حالات الفيضان أو تلوث مياه الأنهار فقد اهتم الملوك الآشوريون بحفر الآبار وأقامتها وقد دلت التنقيبات الاثرية على وجود العديد من الابار

في القصور والمعابد وعدد من بيوت السكن في بلاد أشور ويوضح النص الاتي ان عددها قد بلغ آنذاك "ما مجموعه32 بئرا تجهز المدينة بالمياه" [31].
كما أنهم حفروا العديد من الآبار اشهرها تلك التي تم الكشف عنها في كلخو (النمرود) التي كان يتم حفرها عادة اما داخل الدور أو في الحدائق او الساحات الوسطية وكانت تبنى بالطابوق المشوي ويصل عمقها إلى تسعين قدما وقد زودت تلك الآبار المدينة بالمياه([32]).

ج- إنشاء السدود: اهتم الملوك الآشوريون بإنشاء السدود لدرء خطر الفيضانات أو لخزن المياه والاستفادة منها عند شحة المياه ولاسيما في فصل الصيف ويخبرنا الملك الآشوري ادد نيراري الأول(1307–1275ق.م)عن إنشاء السدود في بلاد أشور قائلا :

"في الوقت الذي كان يتم حجز المياه في سدود أقامها والدي لهذا الغرض حدثت فتحة في الوسط ومن اجل تهدئة هيجان المياه أغلقت هذه الفتحة بالحجر والقار وقمت بعمل ثلاث فتحات من اجل توزيع المياه "[33]

ويخبرنا الملك سين – اخي– اريبا عن السد الذي بناه على رافد الخوصر لتحويل المياه الى قناة تم حفرها تؤدي الى مدينة نينوى:

" كانت مياه الخوصر تجري من قديم الزمان في منسوب واطىء ولم يقم احد من أبائي بسدها وبقيت تنحدر الى نهر دجلة دون ان يستفاد منها "[34]

د-كان المشرع في العراق القديم بصورة عامة متعاطفا وراعياً لأصحاب الحقول والأراضي الزراعية: فيما يتعلق بالإيفاء بالتزاماتهم وسداد ديونهم للآخرين عند حصول كوارث طبيعية قاهرة مثل الفيضانات أو شحة مياه الري مما يؤدي الى تلف محاصيلهم الزراعية ونقرأ مما جاء في المادة (48) من قانون حمو رابي بهذا الخصوص (إذا كان على رجل دين واغرق الاله ادد حقله أو جرفه الفيضان أو لم تنبت الحبوب في الحقل لقلة الماء ، لن يعيد في تلك السنة حبوبا الى صاحب دينه ويرطب رقيمه ولن يدفع فائدة تلك السنة) [35] .ومما لاشك فيه ان الآشوريين قد ساروا على النهج نفسه الذي اتبعه البابليون.

5-المجاعة: وهي ظاهرة كان يعاني منها سكان منطقة معينة أحيانا من سوء تغذية نتيجة للحروب او الكوارث الطبيعية والزلازل ويترتب على ذلك نقص فادح في الأكل لمدة طويلة مما يتسبب في موت الناس جوعا, وتعرف بالاكدية بصيغة dannatu [36] . كما ان القحط كان يسبب نقصان في واردات المملكة وسيما تمويل الجيوش وتعبئتها وغالبا ما تتزامن المجاعة مع الفيضانات والأوبئة لان المجاعة والقحط تؤديان عادة الى سوء تغذية بين الناس مما يهيىء الأجواء المناسبة لانتشار الإمراض .

أهم الإجراءات الاحترازية التي كانت السلطة الآشورية تتخذها أثناء وقوع المجاعات وذلك لدرئها والتخفيف من وطأتها:

ففي زمن الملك أشور دان الأول (1179–1134ق.م) بدأت حملة لإعادة التوطين بعد الجوع وعدم الاستقرار وبنى مراكز جديدة مخصصة فضلا عن المحاريث والخيول ومخازن الحبوب وهذا ما سمح للاشوريين بالعودة الى المناطق التي ارغموا على تركها وزيادة استثمار الأراضي الصالحة للزراعة[37] .

كما ذكر الملك أشور– ناصر–ابل (أشور ناصر بال الثاني) انه :" أعدت الآشوريين الضعفاء الذين ذهبوا الى بلدان أخرى –الى بلاد شبر– بسبب المجاعة وأسكنتهم في مدينة تشخ – (أحدى المدن السورية)– التي أخذتها لنفسي وأقمت فيها مخزنا للشعير والتبن من بلاد نرب ". [38]

وكان الملوك الآشوريون يقدمون المساعدة للممالك الأجنبية المجاورة فكيف هو الحال مع أبناء مملكتهم,إذ يذكر الملك أشور–بان–ابلي (أشور بانيبال) انه قدم المساعدة الى ملك عيلام (اورتاكي) قائلا:

" عندما حلت المجاعة في بلاد عيلام وتفاقم نقص الغذاء كان لدي ذرة أرسلتها إليه ليقيم أود شعبه وشددت على أزره وأعدت إليه من فر من المجاعة والتجأ الى أشور حتى زمن تساقط الامطار وبدا فلاحة الأرض "[39] .

وكانت غلة الحبوب كثيرا ما تتعرض للعديد من المخاطر فقد ينتهي ارتفاع النهر غير المناسب أو الفيضان الشديد بالدمار للحبوب تماما كما هو الحال بالسنة الجافة في المناطق التي تعتمد على المطر وكذلك قد تتذمر غلة الحبوب ذات الجودة فجأة بالجراد أو بالآفات الزراعية ، ولهذا فقد دأبت السلطة الحاكمة في بلاد أشور خزن فائض نتاج السنوات الجيدة للمدى البعيد أو الحصول على الحبوب من الجماعات والأقاليم ذات الظروف المناخية الأفضل والتي لديها فائض من الحبوب تفاديا لحدوث المجاعات وسنوات الجفاف [40] .

يذكر ادد –نيرا ري الثاني بعد حملته الثانية على بلاد خانيكلبات (في بلاد سوريا)انه قام بحصاد المنتجات الزراعية وخزنها في مدينة ساركو فقال:

" دخلت مدينة لاريدو حصدت حصاد(غلة) أرضه وعددت مدينة ساركو مخزنا كدست فيه الشعير والقش "[41].

كذلك ذكر أشور –ناصر –ابلي الثاني انه تم حصد وتكديس الحبوب والقش في عدد من المدن الآشورية المؤسسة حديثا وفي المدن المجاورة مثل اربيو في لوخوتو وتوشان في نائيري وفي توكلتي –أشور أصبات ودور –أشور في زامو[42].

كما ذكر أشور –ناصر –ابلي الثاني انه أعاد اعمار مدينة اتليلا في زامو واستخدمها لخزن الشعير والقش: "خزنت فيها الشعير والقش من الأراضي المحيطة وأسميتها دور – أشور"[43].

6- غزوات الجراد :Locusts

يعد الجراد من الحشرات التي تغزو الأراضي الزراعية بمجاميع كبيرة وورد اسمها في الاكدية بصيغةerbum وبالسومرية $BURU_5$ [44], وقد شكلت غزوات الجراد المتتالية على الحقول والمحاصيل الزراعية اكبر المشاكل والأخطار التي واجهت لأنها تأتي في مواسم الجفاف وتهاجم القرى والمدن وتقضي على البساتين والثمار وغالبا ما تقع مجاعات كبيرة ولما كان الجراد يسبب الدمار عند غزوه للمزارع والحقول فقد اعتقد العراقيون القدماء انه مرسل كغضب من الآلهة فقدموا القرابين للآلهة خوفا من هجمات الجراد وأقاموا عددا من الطقوس لتفادي خطرها ومما جاء في احدها :

"وضع المبخرة وشرب الجعة وقراءة التعاويذ والرقي ثم تلاوة دعاء للإلهة وتقديم القرابين وإعداد سبعة مذابح و تماثيل شمعية من الجراد ثم تحرق بالنار فتتلا التعاويذ ثم تدفن التماثيل في أعلى الحقل"[45].

وفي أحدى الرسائل الملكية المتبادلة بين الملك الآشوري و احد حكام المقاطعات التابعة له والتي تتحدث عن اخبار غزوات الجراد وتحديد أماكن الإصابة بها تصدر تعليمات من الملك لتلك المقاطعات المبتلاة بالجراد ..

" بخصوص الجراد الذي كتب الى سيدي الملك قائلا : ابعث رسالة مفادها ان الحقول المبتلاة بالجراد تحدد بالحجارة ويجب قتل الجراد في الوقت الذي يوشك فيه على النزول ، وقد قمت باصدار الامر :- مفاده بناء حدود من الحجارة في المنطقة المبتلاة بالجراد وقتل الجراد عند نزوله "[46].

فقد عمد سكان المقاطعات التي تتعرض الى غزو الجراد باستمرار الى وضع أحجار وكانت تتم مراقبة سحب الجراد الزاحفة أو الطائرة ليكونوا مستعدين للقضاء عليها.

وفي رسالة أخرى بعث بها حاكم مدينة أشور الى الملك الآشوري بخصوص الجراد:-

" بخصوص ما كتب لي سيدي الملك بشان قتل الجراد الذاهب الى قرية مي- طبت وقرية امنت وقرية كسب, الجراد هنا في وسط البلاد بين ... على الجبل الكبير... أبعدته ".[47]

ثانياً: أهم الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها السلطة الآشورية في أثناء الظروف القاهرة على الصعيد العام :

وفي مقدمتها الاهتمام بالأفراد الآشوريين الذين تضرروا من جراء الحروب أو الكوارث الطبيعية وعلى النحو الأتي :

أ- السؤال عن الأفراد والأسر الذين تضرروا من جراء الحروب أو الكوارث الطبيعية والاطمئنان عليهم والنظر في أحوالهم: فقد ورد في مضمون احد الرسائل أمر بالتحري والاستفسار عن أوضاع اسر وعوائل الجنود القتلى الآشوريين :-

" اسأل وتحقق وسجل وأرسل أسماء الجنود القتلى وأولادهم وبناتهم ربما ثمة رجل قد يستعبد أو أرملة تصبح امة أو يدخل ابن أو بنت في العبودية اسأل وتحقق وجد كل الأرامل وسجلهم واعرف وضعهم وأرسلهم إلي " [48] .وهذا الأمر ليس حديث عهد على الملوك الآشوريين فقد حرصوا أسوة ببقية الملوك في العراق القديم ومنذ فترات مبكرة من تاريخهم على رعاية وحماية حقوق الأطفال اليتامى [49] ، حتى أدعو ان"الآلهة نانشة Nanša تعرف اليتيم والأرملة وتعرف ظلم الإنسان للإنسان إنها أم اليتيم"[50] .

كما رعى الملوك الآشوريون النساء الأرامل– مفردها الأرملة– وهي التي ليس لها زوج أو معيل وتسمى بالاكدية almattu[51],واعتقدوا ان الآلهة نانشة تعمل على إيوائها في معبدها العادل.

وكان من الصعب على المرآة الأرملة ان تقوم بإعالة أطفالها وان تحصل على ما يكفيها من المال له ولأطفالها ، فتضطر كثير من النساء الأرامل الى دخول بيت رجل ثان ، وقد أشارت م177 من قانون حمو رابي الى أنه" إذا قررت أرملة أولادها صغار الدخول الى بيت ثان فإنها لن تدخل دون موافقة القضاء وتحصى تركه زوجها السابق , ويعهدون الى المراة وزوجها الأخير بيت زوجها السابق ويتركان وثيقة بالمحافظة على البيت ويربيان الصغار"[52] .

ب- **حماية حقوق وأموال الأسر والافرا د المنكوبين قانونا:** ورد في المواد القانونية الأشورية عن رعاية الإفراد الذين تضرروا من جراء الحروب أو الكوارث الطبيعية فقد اسهمت (م28) وهي من القوانين الآشورية الوسيطة في ضمان حقوق الأطفال اليتامى جاء فيها " إذا دخلت أرملة بيت رجل وكان ابنها الصغير معها (و) تربي في بيت من أخذها ولكن لم يكتب له عقد تبني لن يأخذ حصة من بيت مربيه ولن يتحمل (مسؤولية) الديون وسيأخذها يهما استنادا لحصته من بيت والده " [53] .

ت- **الاهتمام برعاية الفقراء والمنكوبين** : ان تشيد المملكة للمعابد بكثرة كان أيضا بمثابة شبكة أمان اجتماعي للأرامل والأيتام الذين كانوا دون مأوى .إذ كانت لمعظم المعابد في العراق القديم أراضي زراعية واسعة يعمل فيها مجاميع من العمال والعاملات وهذا ما توضحه قوائم الأجور والأرزاق الممنوحة لهم والذين كانوا يعملون باجرة يومية في حقول المعابد ، ويبدو ان غالب أولئك الأطفال كانوا أيتاما يؤخذون في عمر مبكر الى العمل ويحتمل ان المهمات التي كانوا يؤدونها يسيرة وبقدر طاقتهم ،[54]علما ان المعابد الآشورية كانت تمنح حصة من المواد التي كانت تؤخذ كغنيمة أو إتاوة من البلدان والممالك التي يتم فتحها[55].وهذا ما يذكره أشور –ناصر –ابلي الثاني قائلا "في كلخ عاصمتي الملكية المعابد التي لم تكن موجودة من قبل معبد انليل وننرتا أسست فيها معبد أيا ومعبد ادد وشالا ومعبد كولا ومعبد سين ومعبد نابو ومعبد عشتار بيليت ماتي ومعبد سيبيتي ومعبد عشتار كدموري و معابد الآلهة العظيمة الجديدة في المدينة..."[56].

ث- سن العديد من التشريعات والإجراءات اللازمة لتحسين المستوى المعاشي ومنها:

- إصدار الإعفاءات الملكية :-وكانت الإعفاءات تصدر من الملك لإعفاء الأشخاص ذوي الوضع المتدني ولتخفيف من وطأة الجوع والعوز،

جاء في مسلة(أشور –نيرا ري الخامس754–745ق.م) مایاتي:

أنا (...)أشور –نيرا ري الخامس

– الذي (...) تجاه مدينة تيباتا

– أنا (أو)أعفيت ل(زازا) من الضرائب

– القش والتبن يجب ان لا يحمل الضريبة [57]

وحدث إعفاء في أثناء حكم الملك توكلتي –ابل –ابشر(تجلاتبليزر الثالث) جاء فيه:

"لاتجمع ضرائب الحبوب من هذه الحقول والبساتين ولا تؤخذ ضرائب العلف باسم أشور وادد وبيرو وانليل وعشتار الآشورية على ألأمير عدم إلغاء كلمات هذا اللوح في المستقبل.

في اليوم السابع من سنة بيل – او – داري Bel-lu-dari (730ق.م) "[58] .

كما حدث إعفاء في أثناء حكم أشور بانبال ضمن حولية(بلاتيا657سنة ق .م)جاء فيه:

" الإعفاء الذي اقره أشور – بان – ابل :ضرائب الحبوب والتبن لن تجبى ، والضرائب على قطعانهم وماشيتهم لن تجبى ، ولن يدع أناس تلك الحقول والبساتين للعمل وخدمة السخرة أو لتجنيد البلاد ، وهم معفون من رسوم الميناء والعبور ، ولن يدفعوا ضرائب الجلود" [59]

وحدث إعفاء في العامين الأولين من حكم الملك أشور – أيطل – أيلاني(626 –624 ق.م) ضمن حولية(نابو–شرو– اوصر 629–624ق.م)[60] .

- -إلغاء بيوعات وقروض مالية حدثت تحت ظروف اقتصادية صعبة تسمى اندرو **Anduraru** إي (العتق من العبودية) يحرر بموجبها المقترضون من جميع التزاماتهم نحو مقرضيهم .جاء في رسالة الحاكم العسكري على بابل(شرو – ايمران)Sarru-emaranni إلى الملك شروكين يثبت فيها أن الملك اسقط كثير من قروض البابليين:

" عندما أعفى سيدي الملك (القروض) حرر العديد من الناس " [61] .د

الاستنتاجات

1. تبين ان هناك إجراءات احترازية تحقق علاجا سريعا ونتائج أنية للمنطقة المنكوبة أو المتضررة والمتمثلة بتقديم المساعدات إلانسانية اواعادة بناء ما تهدم وتعميره أو ما كانت تقوم به السلطة الحاكمة

من إصدارها الأوامر بإقامة إجراءات طقوسية ومراسيم تعبدية حسب اعتقادهم كإقامة الصلوات والشعائر وتقديم القرابين هو باعتقادهم جزء مهم لدفع الشر والأذى

2. هناك إجراءات تحقق علاجا تظهر نتائجه الايجابية على المدى البعيد مثل إقامة مشاريع ارواء ضخمة و حفر الآبار والقنوات لدرء المجاعات والتخفيف من وطأتها.

3. اظهر البحث االعناية الفعلية التي أولتها المملكة بالإنسان الآشوري أفرادا وعوائل, ولاسيما المتضررين منهم من الحروب أو الكوارث الطبيعية.

4. كشف البحث عن وجود ما يشبه ما نسميه اليوم بالإنذار المبكر (الأرصاد الجوية) من خلال متابعة التقارير المستمرة والمرسلة من حكام المقاطعات الى الملك الآشوري أو من خلال نصوص العرافين التي تنبىء عن حدوث ماسموه بالفأل السيئ، فيظهر انهم قد ربطوا بين حدوث الظواهر الفلكية مع حركة الكواكب والنجوم وحدوث الكوارث الطبيعية

5. أسهمت الإجراءات الاحترازية المتنوعة التي اتخذتها السلطة الآشورية في تقليل حجم الأخطار المحتمل وقوعها, كما ان الإجراءات التي تحقق علاجا على المدى البعيد أسهمت أيضا في تحسين ورفع المستوى الاقتصادي والمعاشي لأبناء الشعب الآشوري .

هوامش البحث

([1]) الاحترازية من احترز والحرز :بكسر الحاء الموضع الحصين ويقال هذا حرز وحريز واحترزت منه أي توقيته ينظر ابن منظور, لسان العرب, المجلد 5 ,بيروت د.ت،ص333

([2])البدري, عبد اللطيف ,من الطب الأشوري , بغداد ,1976,ص2

[(3)] Luckenbill .D.D Ancient Record Of Assyria and Babylonia ,vol11,Chicago , 1927 (ARAB) VOL2.119

(4) الكارثة :لغة:من كرث:كرثه الأمر واكرثه، ساء واشتد عليه وبلغ منه المشقة ابن منظور, لسان العرب, المجلد 2 ,بيروت د.ت،ص180. للمزيد من المعلومات عن الكوارث الطبيعية في العراق القديم ينظر : رشا عبد الوهاب محمود الجمعة ، نظرة العراقيين القدماء للكوارث الطبيعية في ضوء المصادر المسمارية ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل،كلية الآداب ، 2007 .

[(5)]-مصطلحات الإستراتيجية الدولية للحد من الكوارث عن الحد من مخاطر الكوارث،الأمم المتحدة ،2009،ص29.

[(6)] ظاهرة طبيعية عبارة عن اهتزاز ارضي سريع يعود الى تكسر الصخور وإزاحتها بسبب تراكم اجهادات داخلية نتيجة لمؤثرات جيولوجية ينجم عنها تحرك الصفائح الأرضية ،ينظر: توني ,يوسف, معجم المصطلحات الجغرافية, دار الفكر العربي ,القاهرة ,1964,ص256

[(7)] CDA,p303.

([8]) Hunger, H, Astrological Reports to Assyrian Kings, Helsiniki University, 1992, SAA 8,p8.

[(9)]Labat,R,Le Caratere Religieux Dela Royaute Assyrio-Babylonienne,paris,1939.p352.

[(10)]Frankfort .H .kingship and Gods,Chicago.1955.p262.

(11)Thompson ,C,A New Record of An Assyrian Earthquake, Iraq, VOl 4, No2, 1937, p188-189.

(12)Luukko Mikko and Buylaere ,G.V. The political correspondence of Esarhaddon. Helsinki, 2002 SAA,VOL16.2002,P93.

(13) ابن منظور, لسان العرب, المجلدالأول ,بيروت، د.ت ،ص5.

(14)CAD,M2,296-CDA.P224 .

15( ) ديوارنت ،ول ، قصة الحضارة ،ترجمة زكي نجيب محمود القاهرة د،ت المجلد الأول ص89.

16 CAD ,Vol,10,part,1,p311.

(17) ساكز ، هاري , عظمة بابل ،ط1 ,لندن ، 1962 ، ترجمة عامر سليمان , الموصل, 1979, ص529

(18)Parpola,Simo,Letters from Assyrian and Babylonian Scholars, SAAX. Helsinki, 1993.p296.

(19) ستيفاني ، دالي ، ماري وكارانا ، بيت الحكمة ،2008،ترجمة كاظم سعد الدين ، ص189

(20) عبد الرحمن يونس ، عبد الرحمن ، الطب في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ،1989،ص104.

(21) أبو سمور ،حسن،وحامد الخطيب، جغرافية الموارد المائية ،عمان ،1999،ص138

(22) CAD,M2,a,p69.

23Hunger, H, , SAA 8,p38.

(24)Parpola, Simo,The Correspondence Sargon 11,SAA.VOL1,Letters.from Assyria and the west ,Helsinki 1987,p37.ABL731.

(25) الصياد ,محمد محمود , المعجم الجغرافي , القاهرة ,1974, ص27.

(26) Grayson,A.K, The Royal inscription of Mesopotamia Assyrian periods (RIMA) vol2. 1996.,P290

27– Grayson, A,K - ., Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC ,Vol 1,Toronto,,Vol 2, ,p.290.

وللمزيد ينظر : تجهيز المياه وتصريفها في بلاد آشور في ضوء المصادر المسمارية، إيمان هاني العلوش، بحث مقبول للنشر في مجلة اثار الرافدين ، 2012 م.

(28) الأحمد ، سامي سعيد ، الزراعة في العصور التاريخية ، موسوعة الموصل الحضارية،ج1991،1،ص182.

(29) Ur ،Jason " Sennacheribs Northern Assyrian Canals, New insights from satellite Imagery and Aerial photography" IRAQ,VOL ,LXV11,Part1,2005,pp317-342.

– للمزيد ينظر: الخطيب، عبد الرحمن ، يونس عبد الرحمن ، المياه في حضارة بلاد الرافدين أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة الموصل ،2010م ،ص43– وما بعدها

(30)سفر ،فؤاد،اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب ، سومر ، مجلد 3،ج1 1947،ص80.

(31) الهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الري في العراق القديم ، سومر, مج(39) ج1–2/1983،ص74 ؛ وينظر: Marcvan Demieroop.The Ancient Mesopotamia City, Oxford, 1999.p161.

(32) **حسين، مزاحم محمود، ألآجر المكتشف في نمرود في ضوء التنقيبات ألأثرية أنواعه واستعمالاته ،سومر،53 ، بغداد، 2005–2006 ،ص254 .**

33() أندريه ، فالتر ، استحكامات أشور ، ترجمة عبد الرزاق كامل ، بغداد ،1987، ص289.

[34]Luckenbill .D.D. The Annals of Sennacherib, Chicago.,1924,p

(35) سليمان ، عامر , نماذج من الكتابات المسمارية ج1،بغداد,2003,هامش113.

(36) CAD,D,P87

(37) أندريه ، فالتر ، المصدر السابق،ص289.

(38)(RIMA) vol2 ,P202:7-9.

(39)(ARAB) VOL2 ,No,855, p328-329.

(40)ساكز ، هاري ، قوة أشور ، لندن ,1984,ترجمة عامر سليمان ,بغداد ,1999ص250

(41)(RIMA) vol2 ,P199.

(42) Liverani ,M ,Studies on the Annals of Ashur nasir pal II,2,Topographical Analysis ,Rome,1992,p158

[43]((RIMA) vol2 ,p208

(44)CDA,E, P77

(45) الرواي ، شبيان ثابت ، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد ،2001م،ص54.

(46)Parpola,s,op-cit, ,.SAA,Vol, 1, No,103 , p86

(47)سعيد,صفوان سامي , حقوق رعايا المملكة الأشورية في عصرها الحديث (911–612ق.م)مجلة آداب الرافدين , ع 51 الموصل ,2008ص.للمزيد حول نص الرسالة ينظر:SAA,Vol, 1, No,102

(48) SAA,Vol, 1, No,2

(49) : اليتامى في الفقه هم الذين فقدوا آباءهم ويصح ان يلحق بهم اصلاح لهما وهم ولم يتركوا لهم ما ينتفعون منه ومثلهم الذين تحكم على آبائهم بأحكام مقيدة للحرية يفقدون المعيل والراعي مدة تنفيذ الحكم . كما أوصى القران الكريم برعاية اليتيم ومن ليس له أب بقوله تعالى (يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فإخوانكم) البقرة/220.

(50).وهذا الأمر ليس حديث عهد على الملوك الآشوريين فقد حرصوا أسوة ببقية الملوك في العراق القديم ومنذ فترات مبكرة من تاريخهم على رعاية وحماية حقوق الأطفال اليتامى، حتى أدعو ان"الآلهة نانشة تعرف اليتيم والأرملة وتعرف ظلم الإنسان للإنسان إنها أم اليتيم"ينظر: Heimpel, w, The Nansha Hymn , "JCS ,Vol ,3312,1981,p83

وأشار اوركاجينا (احد ملوك سلالة لجش 2355ق.م) في إصلاحاته الى أنه " اخذ على نفسه ميثاقا وعهدا أمام الاله (ننجرسو) اله مدنية لجش أنه لن يسمح بان يقع اليتامى ... فريسة لظلم الأقوياء،ينظر: كريمر, صموئيل نوح , من ألواح سومر، شيكاغو 1956 ترجمة طه باقر ,د.ت،ص12.

وسن ارو نمو مؤسس سلالة أور الثالثة(2111–2003 ق.م) أقدم الشرائع المعروفة والتي حرص فيها على حماية حقوق اليتامى في البلاد ذكر فيها :–" لم اسلم اليتيم الى الغني والأرملة الى القوي". ينظر: سليمان، عامر، نماذج من الكتابات المسمارية ، النصوص القانونية ،ص37.

وذكر حمورابي في مقدمة قانونه " لكي لا يظلم القوي الضعيف ، ولكي ترعى العدالة اليتيم والأرامل ولأقضي البلاد بالعدالة واوحد النظام في البلاد . سليمان ، عامر ، نماذج من الكتابات المسمارية ، النصوص القانونية،ص91.

(51) CAD,A,1,p362.

(52) سليمان ، عامر ، نماذج من الكتابات المسمارية ، النصوص القانونية،ص169.

(53) جدير بالذكر ان الدين الإسلامي الحنيف قد أوصى برعاية اليتيم ومن ليس له أب بقوله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) الضحى/9 ،كما أوصى رسولنا الكريم محمد (ص) باليتامى خيرا (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه) وقوله(ص) أيضا (خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم).

54( )حمود ، حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد في المجتمع العراقي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الآداب ,جامعة الموصل،1991ص 133.

(55)Holloway ,S.W .Assur is King , Assur is King ,Religion in The Exercise of power in The Neo-Assyrian Empie, Boston ,2002,p53 .

56() Wiseman D.D .Anew stela of Assur- Nasir- pal 11,Iraq,vol xlv,1952 pp.-30-31

57() (RIMA) vol2 ,P246

(58) Kataja,L,and R ,whiting Decrees and Gifts OF the Neo-Assyrian period, SAA,Vol,X11,Helsink,1995,No,14 = ADD658 NA7,p15.

(59)Read,J,E,Assyrian Eponyms ,King and Pretender 648-605 B.C)Orietalia,VOL67.1998.p256.

(60)جاسم ,صفوان سامي سعيد , التجارة في بلاد أشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية, أطروحة دكتوراه غير منشورة ,كلية الآداب ,جامعة الموصل , 2006ص41.و للمزيد من المعلومات ينظر: SAA, Vol, 12,No,25

(61)Lanfranchi . GB and ParpoLa S, the Correspondence of Sargon 11 pt2 Helsinki SAA, Vol, , 5,No 203 P147